الفصل الثاني

العلاقة الوثيقة بين العقيدة والسُلُوك

obeikandl.com

obeikandl.com

مِنَ النِعَمِ العظيمة التي منَّ الله بها على عباده نعمة الإسلام، والتي يعتبرها المسلمون من أفضل وأحسن النِعَم بل يرددون في كل وقت "الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نِعمة".

ومن بين النِعم التي يتنعمُ بها المسلمون نعمة "الإيمان"، ومن الإيمان يأتي كل الخير، هذا الخير يتمثل في رسم خارطة طريق واضحة لبرنامج الأخلاق الخاص بالمسلم المتوازن المعتدل في سلوكه وأخلاقه.

المعادلة الواضحة في الإسلام هي أن حُسن الخُلق دليل على قوة الإيمان، بينما ضعف الخُلُق دليل على ضعف الإيمان.

كيف يرتبط السُلوك بالعقيدة في الإسلام؟

الإيمان هو أساس العمل الصالح، من أجل هذا ربط القرآن الكريم والسُنة النبوية بين الإيمان والعمل الصالح، ويُراد بالإيمان العقيدة، وبالعمل الصالح السلوك القويم[iv].

من جميل ولطف الدين الإسلامي أنه يأتي من مصدرين رئيسيين، هما القرآن والسنة، وهما كما نعلم مصدر الوحي الإلهي، هذا الوحي الذي يهدينا الصراط المستقيم بما جاء به من تعاليم.

نماذج من القرآن توضح ارتباط الإيمان بالسلوك القويم

يقول الله تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. (النحل:٩٧)

يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية جزاء من جمع بين الإيمان والعمل الصالح (السلوك القويم)، وأنه سيعيش حياة طيبة في الدنيا، ويجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة. قال العلماء: إن الحياة الطيبة هي السعادة في الدنيا، وقيل الرزق الحلال، وقيل القناعة، وغيرها[٧].

إذا تأملنا معان السعادة المتمثلة في الرزق الحلال والقناعة وغيرها من الصفات الحميدة، ندرك أن كل الأخلاق الطيبة تنبع من

الإلتزام الحقيقي بتعاليم الدين، فمن يُدرك الهدف من هذه التعاليم سيدرك أن معه الخير كله.

من الآيات الأخرى التي تربط العمل الصالح وتحث المؤمنين عى الإيتان به والتحلي بحسن الخُلق قوله تعالى: وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْمًا وَلاَ هَضْمًا. (طه:١١٢)

عندما نتأمل الآية السابقة نجدها تشمل العمل وهذا العمل صفته أنه "صالح" أي حسنٌ، نابع من عقيدة سليمة بالله الذي يجازي الإحسان بالإحسان، فيكون الأجر هنا هو عدم الخوف من الظلم، طالما أنه يتحلى بأحسن الأخلاق.

أيضاً يقول الله تعالى: وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. (التوبة: ١٠٥)

فما أروع هذه الآية، تحث المسلم على العمل، والذي يجد نفسه مرغماً على أن يكون عمله كله صالحاً نابعاً من سلوك قويم يسلكه

مع جميع البشر بل وجميع الخلق دون تفريق. هذا العمل الصالح، يجازي به الله والرسول وينعكس نفعه على سائر المؤمنين.

أما السُنة، التي بعُدنا عنها بعض الشيء، فهي تقوم أساساً على ترسيخ "حُسن الخُلُق" في نفس المسلم ليكون قائداً متوازناً صالحاً. جاء سيدنا مُحمد (صلى الله عليه وسلم) ليُرسِخ مفهوم "الخُلُق القويم".

بيّن النبي (صلى الله عليه وسلم) أهمية الالتزام الخُلقي في حياة المسلم المنقطعة في الدنيا والدائمة في الآخرة ورتب محبة الخالق ومحبة رسوله على الالتزام الخُلقي، وقصَر بعثته على إتمام مكارم الأخلاق حيث قَالَ: «بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ حُسْنَ الأَخْلاَقِ»[vi]. (موطأ مالك)

هذه طائفة من أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) ارتبطت فيها العقيدة بالسلوك:

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً، وخيركم خياركم لنسائهم". (رواه الترمذي)

عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله مرَّ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء-فقال: "دعه فإن الحياء من الإيمان". (رواه البخاري)

ومن الأحاديث التي ربطت العقيدة بالسلوك أيضاً ما رواه أبو شريح أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن" قيل: من يا رسول الله؟ قال: "الذي لا يأمن جاره بوائقه" (رواه البخاري)

في هذه الأحاديث الشريفة، لمحة من أحسن الأخلاق التي يتحلى بها المسلم ليكون متوازناً، فالحياء هو قمة هرم الأخلاق والسلوك القويم، وهو جوهر العلاقة بين المسلم وربه، وما أجمل أن يظهر حُسن الخُلق تجاه معاملة الجار، فها هو سيدنا النبي (صلى الله عليه وسلم) يحذر المؤمنين من إيذاء الجار، فحب الجار من الإيمان.

في حديث آخر ربط فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) بين العقيدة وبين قيمة كبرى أخرى وهي قيمة "الإيثار"، وحب الغير حيث حدد النبي (صلى الله عليه وسلم) أنها جزء من الإيمان. عن أنس (رضي

الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه". (رواه البخاري)

ما يُستفاد من النصوص السابقة:

شرع الإسلام قوانين وأحكام من شأنها أن تحافظ على إقامة الأخلاق في المجتمع الإسلامي، سواء بين أفراده بعضهم البعض أو بينهم جميعاً وبين بقية المجتمعات الإنسانية، وهذه الأحكام تضمن بقاء القيم الأخلاقية وحفظها من العبث، ما يسمح للناس بالتعايش في سِلم وتسامح وتعاون[vii].

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة سموا كل سلوك مرغوب عملاً صالحاً ليشمل كل عمل يؤديه المؤمن بنية طيبة سواء كان من أعمال القلوب، أو اللسان أو الجوارح... وبذلك يكون العمل الصالح شاملاً لكل نشاط الإنسان[viii].

تذكِرة:

- **القائد المتوازن لا تنفصل عقيدته عن أخلاقة.**
- **الخلل في السلوك يعني انفصام بين العقيدة والأخلاق.**
- **حُسن الخُلق دليل على قوة الإيمان، وسوء الخُلُق دليل على ضعف الإيمان.**

obeikandl.com